الحياة بنزاهة[1]

عظة للأب ستيفن ألان

١٨ تموز (تقويم كنسي) – الثلاثاء من الأسبوع العاشر من إنجيل القديس متى، القديس إميليانوس الشهيد

في إنجيل اليوم، يواجه الرب قادة الكهنة والشيوخ بنفاقهم المستخدم لخدمة مصالحهم الذاتية:

"23 ولما جاء إلى الهيكل تقدم إليه رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب وهو يعلم، قائلين: بأي سلطان تفعل هذا؟ ومن أعطاك هذا السلطان. 24 فأجاب يسوع وقال لهم : وأنا أيضا أسألكم كلمة واحدة، فإن قلتم لي عنها، أقول لكم أنا أيضا بأي سلطان أفعل هذا. 25 معمودية يوحنا: من أين كانت؟ من السماء أم من الناس؟ ففكروا في أنفسهم قائلين: إن قلنا: من السماء، يقول لنا: فلماذا لم تؤمنوا به . 26 وإن قلنا: من الناس ، نخاف من الشعب، لأن يوحنا عند الجميع مثل نبي . 27 فأجابوا يسوع وقالوا : لا نعلم. فقال لهم هو أيضا: ولا أنا أقول لكم بأي سلطان أفعل هذا " -- **القديس متى 21: 23-27**

يستخدم القديس ثيوفانوس الحبيس هذه الفقرة من الإنجيل ليُظهر الإرادة السيئة لكل من يرفض العيش بالحقيقة:

"عندما سأل الرب السؤال عن يوحنا المعمدان، افتكر قادة الكهنة والشيوخ لأنفسهم: "إذا أجبنا بهذه الطريقة أو بتلك، أي إجابة ستكون مسيئة لنا،" ولهذا السبب قرّروا أنه من الأفضل استخدام الجهل كجواب. مصالحهم

[1] نُقلت إلى العربية عن صفحة الأب ستيفن ألان الإلكترونية: http://orthodoxtruth.org/uncategorized/life-with-integrity-2/

الذاتية ربطت ألسنتهم ولم تسنح لهم بالشهادة للحق. لو أحبوا الحقيقة أكثر من أنفسهم، لكانت الكلمات قد اختلفت، كذلك أعمالهم. مصالحهم طمرت الحقيقة ولم تسمح لها بالوصول لقلوبهم. مصالحهم منعتهم من تشكيل قناعة صادقة، وجعلت قلوبهم غير مبالية للحقيقة. هذا هو الحال دائماً – المساعي الأنانية هي دائماً العدو الأساسي للحقيقة. كل الأعداء الأخرى تأتي وراءها وتعمل من خلالها. إذا أردنا إجراء تحقيق في كيفية نشوء الهرطقات والأوهام، نجد أن هذا هو بالضبط مصدرهم جميعاً. بالكلام، الحقيقة حقيقة؛ ولكن في الواقع، الحقيقة تعيقنا في أمر ما أو بأمر آخر وبالتالي يجب التخلّص منها ووضع كذبة مكانها تناسبنا أكثر. لماذا على سبيل المثال يوجد هناك أناس ماديين وعدميين؟ لأن فكرة الله الخالق والمعيل والديان سوياً مع فكرة روحانية النفس تعيق هؤلاء الناس من عيش نمط الحياة العظمى وفقاً لرغباتهم، وبالتالي هم يزيحون بهذه الفكرة جانباً. يتضح من تفاهة إفتراضاتهم أن العدميين لا ترشدهم الحقيقة. يريدون كل شيء أن يكون كما يفكرون به، وكل وهم يعبّر عن أفكارهم يعرضونه وكأنه شاهد للحقيقة. لو يأخذون الأمور بجدية ولو لقليل، سيرون كذبتهم على الفور. لكن هم يحزنون على أنفسهم، ولذلك يبقون على ما هم عليه." -- **أفكار لكل يوم من السنة [بالإنكليزية] ص. 164–165**.

"المساعي الأنانية هي دائماً العدو الأساسي للحقيقة". في حالة تجار السلطة الدينيين والعلمانيين، هذا الغرور يأخذ شكله الواضح بالسعي وراء المصالح الذاتية والتباهي به شعبياً. ولكن "المساعي الأنانية" هي ليست حصراً ملكية الأغنياء وأصحاب النفوذ. جميع البشر، لأنهم "...يحزنون على أنفسهم..." يستحون من مسك مرآة الحقيقة لتعكس حياتهم. كل بشري له طبيعة ساقطة، وبالتالي كل بشري يعمي نفسه من الحقيقة. الخلاص يتطلب من الإنسان بأن يرتقي إلى حقائق الإيمان الموحاة لنا، بأن يستلم نعمة الإيمان، وبأن يسمح لنور الحقيقة بأن يُنير عقله المظلم. إن العالم (المجتمع) والجسد (الأهواء) والشيطان يحاربون ذلك في كل خطوة من خطواتنا. ولكن نعمة الله هي قاهرة الكل والرجل الذي يصمم بإرادته على عدم الشعور بالحزن

تجاه نفسه، الذي يرغب بأن يعرف ويعيش الحقيقة مهما كان الثمن، سوف يحصل على النعمة بوفرة.

إذاً، التخلص من الهرطقات والأوهام هو ليس مجرد مسألة تختص بالعقل بل أيضاً بالإرادة. على المرء أن يريد (أي بملء إرادته – المعرّب) أن يعرف الحقيقة مهما كان الثمن، مهما يتطلب الأمر. عندها، ولكي تكون تلك الحقيقة مجده عوضاً عن عاره، عليه أن يحيا بها مهما كان الثمن، مهما يتطلب الأمر، وذلك لأننا إذا قبلنا الحقيقة بالكلام لكن رفضناها في حياتنا يكون ذات الشيء مثل، و ربما أسوأ من، عدم القبول بها على الإطلاق.

إن العصر الذي نعيشه، لنستخدم عبارة مناسبة للراحل الأب سيرافيم روز، هو عصر التزييف الروحي بإمتياز. هو هرج ومرج بكل معنى الكلمة، عصر أُطلقت فيه كل شياطين الجحيم لأن "ذاك الذي يضبط" (أي الإمبراطور الأرثوذكسي المعيّن إلهياً، وبالتالي السلطة الشرعية بشكل عام) تمّت إزاحته، الخبثاء (وهي كلمة تعني حرفياً أصحاب الإرادة الشريرة) يحكمون كل أمة وبالتالي الشر يحكم بحرية. كل نوع من الكذب وكل "خير" مزيف يتم تفخيمه، وحقيقة كلمة الله القاسية يُسخر منها، حتى تعتبر شراً بحد ذاتها. لينتمي ولكي يخدم رغباته الذاتية الفورية مثل القبول والتقدم في المجتمع، على المرء أن يطمس الحقيقة ولا يسمح لها بالوصول لقلبه، أو إذا عرف أحدهم الحقيقة، عليه أن يربط لسانه ولا يشهد لها. فالطريق الوحيد المفتوح نحو النزاهة إذاً هو عدم الإنتماء، هو العيش مثل نوح قبل الطوفان، مثل لوط في سدوم، مثل يوسف في أوساط المتعة المصرية، ومثل دانيال في بلاط بابل.

من الواضح أن المرء يمكنه أن يحيا هذا النمط فقط بالإيمان والصلاة والنعمة. فقط "رجل الرغبات الإلهية" مثل دانيال يمكنه أن يحفظ على الحقيقة بثبات في نصب عقله وقلبه بينما في

نفس الوقت تحيطه تلك الأسود المفترسة للبشر، أعداء الحقيقة. حبه المشتعل للمسيح يعطيه الطاقة للبقاء على قيد الحياة حين يقول له العالم بأن ينطوي ويموت. هو يعرف أن الصلاة المدركة واليقِظة والنابعة من القلب، المقامة يومياً ومن دون أعذار، هي ليست غريبة عن البقاء الوجودي. هي حافظة الحياة لكل خاطئ يغرق في بحر الحياة.

ففي المرة القادمة عندما تُجرَّب بتخطّي الصلاة أو أن تمتمها دون إنتباه، تذكّر أنك تغرق، ولكن الرب يمد لك يده. ويقول: "جاهد قليلاً، أعط إنتباهك لي، وأنا سوف أخلّصك".